حملة أحمد المنصور على السودان الغربي وموقف السودانيين منها في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م.

أ. عميمور أيمن
طالب سنة ثانية دكتوراه (دراسات إفريقية)،
جامعة الجزائر(02) .

مقدمة:

السودان الغربي بمفهومه الواسع يشمل المنطقة المحصورة بين الصحراء الكبرى شمالا وخليج غانا جنوب خط عرض 10 شمال خط الإستواء، وبين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة التشاد شرقا، وصل الإسلام إليه في وقت مبكر واشتهر بقيام عدد من الإمارات والممالك في العصرين الوسيط والحديث على رأسها مملكة مالي ومملكة صنغاي، فمن المعروف أن العلاقات التي ربطت بلاد السودان الغربي بالشمال الإفريقي قديمة، حيث كانت هناك تسربات لمؤثرات بشرية من الشمال إلى الجنوب رغم وجود حاجز طبيعي متمثل في الصحراء الكبرى، وعرف سكان المنطقتين كيف يجعلوا هذا الحاجز مجالا للتواصل المتواتر بينهما، كما استطاع الإسلام أن يثبت أنه حضارة راقية ساهمت بشكل كبير في ازدهار الحياة الاقتصادية والثقافية في إفريقيا ما وراء الصحراء.

فبتطور التجارة وازدهار مختلف الطرق التجارية على جانبي الصحراء، أصبح التواجد المغربي في بلاد السودان الغربي كثيفا، الأمر الذي أثر على مستقبل العلاقات بين سكان المنطقتين خاصة بعد تولي السعديين زمام الأمور في المغرب الأقصى بقيادة أحمد المنصور(الذهبي)، هذا تزامنا مع بداية تدهور أمور صنغاي نتيجة النزاع على السلطة داخل أسرة الأسكيين، فبدأت بذلك المناوشات السياسية بين سلاطين صنغاي والسلاطين المغاربة، وأخذت العلاقات السودانية والمغربية في أواخر القرن 10 هـ/ 15 م تنحوا منحى آخر.

1- العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى والسودان الغربي قبل الحملة:

منذ ظهور السعديين وقيام دولتهم بالمغرب الأقصى، سعوا إلى البحث عن موارد ثابتة تمكنهم من توطيد اقدامهم وتساعدهم على تطوير الاقتصاد المغربي لما فيه رفاهية البلاد وازدهارها، حيث سعوا الى استغلال ثروات جنوب الصحراء، كمعادن الملح الموجودة بمنطقة تغازة[1]، ويمكن القول أن العلاقات المغربية السودانية في البداية لم تخرج من كونها علاقات تبادل تجاري وفكري أكثر من أن تكون سياسية، لكن مع ظهور السعديين تغيرت العلاقات بين المنطقتين لتصبح سياسية[2]، فقد شهدت الصنغاي بعد إقصاء السلطان محمد الكبير من الحكم، بداية عهد النزاع على الكرسي داخل الأسرة الحاكمة، وبدأت الفوضى والمؤامرات وبدأ التدهور في أمور الدولة وبدأت المناوشات السياسية بين سلاطين صنغاي والسلاطين السعديين[3].

وقد بدأت أطماع سلاطين المغرب.أ. في بلاد السودان.غ. منذ أواخر النصف الأول من ق:10هـ/ 16م ففي عام932هـ/ 1526م طلب السلطان السعدي أحمد الأعرج من الأسكيا اسحاق الأول(945-955هـ/ 1539-1549م) أن يتنازل له عن مناجم ملح تغازة[4]، فبعث له الإجابة معبرا فيها بالرفض على حد قول السعدي: «...أن أحمد الذي سمع ليس هو أيّاه وأن إسحاق الذي سمع ليس أنا...»[5]، وعمد إلى إظهار تصلبه أمام السلطان، فبادر إلى بعث حملة عسكرية كان الهدف منها إظهار القوة فقط، حيث دخلت أراضي المغرب.أ. الجنوبية و خربت قرية الذراع، ، وكانت هاته الحملة تحمل تعليمات مشددة بألا تقتل أحد[6].

وعندما تولى محمد الشيخ الحكم، أرسل سنة950ه/ 1544م إلى إسحاق، بشأن التنازل عن ممالح تغازى لكن هذا الأخير رفض للمرة الثانية، وقد جاء رد الفعل المغربي قبيل مقتل محمد الشيخ، إذ أرسل سنة964هـ/ 1557م، حملة

عسكرية قوامها نحو ألف وثمانمائة فارس، وصلت إلى سبخة «أجل» الشهيرة التي يستغل السودانيون ملحها، وتقدمت منها نحو تغازى وقضت على مظاهر السلطة السودانية بها[7]، ويقول الفشتالي»...

أجلب الإمام رضي الله عنه على تغازة فانتزعها من يد سكية واستضافها للمغرب وعقد عليها لرجاله...»[8].

فقتل حاكم تغازى والطوارق الذين كانوا يقدمون باستخراج الملح من تغازة، على يد القائد الفلالي الزبيري الأمر الذي دفع بسلطان صنغاي لاختيار مكان آخر لاستخراج الملح[9]، اسمه «تغازة الغزلان»[10]، وقام السودانيون بمقاطعة ملح تغازة والقوافل التي تمتار منه، مما أجبر المولى محمد الشيخ على التفاوض مع حاكم السودان.غ. على أن يتخلى المغاربة عن بعض خراجها للأسكيا مقابل تسريح بيع الملح الذي تجلبه القوافل إلى بلاده[11]، «...فكان سكية يبعث من يحمل له نصيبه من الخراج دون أن يكون له قبض ولا بسط في أحكام البلد والمعدن...»[12]، وقد شغلت أحداث الترك والبرتغال الملوك السعديين الأوائل، فلم يستطيعوا التدخل في منطقة السودان.غ.، بل استطاع أهل المنطقة وخصوصا بعد مقتل محمد الشيخ أن يسترجعوا معدن الملح[13].

وعندما وصل أحمد المنصور الشريف إلى الحكم سنة 983هـ/ 1578م، كان الأسكيا إسحاق لايزال حيا لكن الأسكيا داود خلفه بعد ذلك بقليل، وكان قدر المغاربة قد وصل إلى القمة بعد انتصارهم في معركة القصر الكبير[14]، وأخذت أوضاع المغرب.أ. الداخلية والخارجية تعرف نوعا من الاستقرار، حيث بذأ في رسم سياسة توسعية خاصة، أساسها التمركز في مواقع استراتيجية هامة في الصحراء المغربية التي تشتهر بواحاتها ومعادنها وبأهميتها في المواصلات، ثم اتخاذ هذه القواعد نقاط ارتكاز للتوسع فيما جاورها أولا ثم بلاد السودان ثانيا[15].

وعمد المنصور إلى محاولة تحقيق أغراض المغرب.أ. في السودان.غ. بالطرق السلمية، فبعث إلى الأسكيا داود (955-990هـ/ 1549-1582م)، هدية بعشرة آلاف وقية من الذهب[16]، وهناك من يقول عشرة آلاف قطعة ذهبية سنة 989هـ/ 1581م، طالبا منه أن يتنازل له عن المملحة لمدة سنة واحدة[17]، ويقول السعدي في هذا الصدد: «...فتعجب من سخائه وجوده فكان سبب المحبة والوصلة بينه وبينه...»[18].

ويظهر أن الأسكيا داود كان على معرفة مسبقة بأهداف المغاربة، وبعدم مقدرة جيشه على محاربتهم ولدى قبل باقتراح المنصور بيسر، وأجّر له ممالح تغازة لمدة سنة واحدة، وتصادق الملكان بعد ذلك طيلة أيام الأسكيا داود[19]، وقد استفتى المنصور في ذلك فقهاء المغرب فأفتوه بأن النظر في المعادن مطلقا إنما هو للإمام لا لغيره، وأنه ليس لأحد أن يتصرف في ذلك إلا عن إذن السلطان أو نائبه[20].

وكان من الممكن أن تسير العلاقات بين المنصور والأسكيا داود نحو الانفراج، لكن هذا الأخير وافته المنية فتولى أمر صنغاي أسكيا الحاج محمد (محمد الثالث) (990-994هـ/ 1582-1586م) الذي كان يحمل نفس اسم جده السابق[21]، ويقول السعدي:»...فلما بلغه (المنصور) خبر وفاة أسكيا داود تحزن وجلس للتعزية فعزاه كبار أجناده كلهم...»[22]، وقد توجه المنصور إلى الأسكيا محمد الثالث سنة992هـ/ 1584م بوفادته المحملة بالهدايا والتحف للتهنئة وكانت برئاسة الشيخ مؤمن بن موسى المعقلي العمري، حيث أجاب عنها الأسكيا بقافلة أخرى حملت بدورها الهدايا ولكنها لم تحمل معها ما كان ينتظره المنصور مما يدل على الإعراب عن الولاء[23].

ويبدوا ظاهريا أن الوفد الذي بعثه المنصور للتهنئة، وفي الحقيقة كانت له أهداف بعيدة متمثلة في التقصي على أوضاع الصنغاي، حتى يتمكن من إعداد حملة عسكرية لاحتلالها، بعد أن نجح في غزو توات وتيقورارين سنة

989هـ/ 1581م، بقيادة أحمد بن بركة وأحمد بن الحداد الغمري[24]، وانتهى الأمر بأن قرر المنصور التدخل عسكريا لانتزاع المعدن، فبعث بحملة من سوس متكونة من جيشين، الأول بقيادة محمد بن سالم والثاني بقيادة عبد المولى بن عيسى أواخر992هـ/ 1584م[25]، وكانت الحملة الأولى تتكون من عشرين ألف محارب وقد أعطاها المنصور كهدف أول وضان (ودان) في منطقة الحوض الحالية، ثم مجرى السنغال ومنه تصعد نحو الشرق حتى تمبكتو، لكن هذه الحملة كانت سيئة التنظيم وغير موفورة التموين الكافي لمدة طويلة لذلك لم تستطع قطع الصحراء ونالت منها المجاعة والعطش فرجعت إلى المغرب.أ.[26].

وقد أوعز المنصور في هذه الأثناء بإرسال الشيخ منصور بربيش الفلاني المعروف بخبرته الجيدة برجال تلك المناطق ودروبها ومسالكها، راح في الظاهر بقصد التجارة ولكن هدفه كان استمالة العناصر التي لم تكن على اتفاق مع وجهة النظر السعدية، وخاصة منها التي تتصل بأسرة أسكيا ذاتها، كذلك استمالة بعض الثوار والخارجين على حكم الأسكيا، واستغلالهم لمهاجمة السودان عسكريا[27].

وبعد فشل الحملة الأولى أرسل المنصور حملة ثانية سنة 994هـ/ 1586م، وكانت تتكون من مائتي فارس فقط إلى تغازة لاحتلالها وسبي أهلها انتقاما من الهزيمة السابقة، ووصلت الأخبار مسبقا إلى السكان فغادروا الموقع وورش العمل وأخلو المنطقة، وفوتوا الفرصة على المغاربة الذين لم يجدوا ما ينهبونه ولا أي مبرر للبقاء فانسحبوا من المنطقة وعاد النشاط للمنطقة[28]، وكان موقف الأسكيا سلبيا شعورا منه بضعف إمكانياته المسلحة بالنسبة للقوات المغربية المجهزة بكل وسائل النار ومدافع البارود، وكل ما قام به مقاطعة المغاربة بتغازة وعدم التعامل معهم، ويبدوا أن هذا الموقف قد أغضب الكثيرين من السودانيين مما أدى إلى قيام ثورة أطاحت في شهر ذو الحجة عام 994 هـ/ 1586م، بحكم أسكيا الحاج محمد (محمد الثالث) وجعلت البلاد تدخل مرحلة من الفوضى

الداخلية، إذ تولى أسكيا محمد أخ الملك المعزول الحكم في 995هـ/ 1587م، إلا أنه توفي في نفس السنة وخلفه أخوه أسكيا إسحاق الثاني الذي تمت مبايعته يوم الأحد 3 جمادى الأول عام 996هـ/ 10 أفريل 1588م[29].

وساعدت الظروف السلطان السعدي لتحقيق أهدافه في المنطقة بوصول أحد أفراد الأساكي وهو الأمير «علي بن داود» الذي طلب مساعدة المنصور في الوصول للحكم، ضد أخيه إسحاق الثاني، وأن يمده بالأسلحة والعساكر ليعود لعرشه بصنغاي، وكان المنصور قد مهد لمشروع الغزو بعدم تدخل سلطان بورنو أثناء قدوم رسول تلك السلطنة إلى المغرب.أ. سنة 994هـ/ 1586م بطلب العون من المنصور واعترف أمير بورنو بسلطة المنصور على الصحراء[30].

ومن جهة أخرى كان وصول علي بن داود[31] إلى مراكش سنة 997هـ/ 1589م، فرصة عظيمة مكنت المنصور من الاطلاع على خبايا الأوضاع بالسودان، وما كانت عليه البلاد من فوضى وانقسام داخلي[32]، فبعث أحمد المنصور برسالة على الفور إلى الأسكيا إسحاق الثاني، يطلب منه فيها تسليم الممالح إلى المغرب.أ. والاعتراف بسلطة ملكه على صنغاي كما هي على المغرب.أ.[33]، وقد علل أحمد المنصور السبب الذي حدا به ليطلب تسليم منطقة الممالح إلى المغرب.أ.، أنه يحرص على حماية جنوبه من خطر المسيحين[34].

أما صاحب الاستقصا فيقول: أن المنصور بعث برسالة للأسكيا إسحاق يأمره فيها بأن يحمل الملح للسودان بعد ترتيبه بينهما، وأن يجعل كل من يحمل منه شيئا من الواردين عليه مثقالا من الذهب العين لكل حمل لتستعين به عساكر المسلمين على جهاد الكفار[35].

فرفض الأسكيا إسحاق الاستجابة لمطالب المنصور، ويقول السعدي في ذلك: «... فلم يساعفه الأمير أسكيا اسحاق بما طلب من التسليم في ذلك المعدن بل قبح له الكلام في الجواب وبعث له صحبة جوابه حرشانا ونعلين

من حديد...»[36]، اشارة منه لاستعداده للقتال وأنه بعد انتصاره على المنصور سيضع النعلين في رجليه[37].

وقال الناصري أن جواب الأسكيا إسحاق تأخر فظن المنصور أن الأسكيا رفض الرد عليه فاشتد غضبه وعزم على توجيه العساكر إلى السودان.غ.[38]، لكن السعدي يبرر سبب تأخر الرسول بقوله:»...فنزل عليه الثلج في الطريق كاد أن يموت منه وقطع أيدي كثير من قومه وارجلهم وما وصلوا بلدهم إلا في بيس الحال...»[39].

فوجد المنصور في جواب الأسكيا إسحاق الثاني، وفي الأخبار المتوافرة لديه عن تفكك صنغاي الفرصة الذهبية للهجوم، لكنه هذه المرة عمل جميع الحسابات لإرسال الحملة[40]، ولم تكن هذه الخطابات هي الأخيرة التي طيرت إلى امبراطورية صنغاي، فقد احتفظ التاريخ بعدد من الرسائل، التي تنم عن الأمل الذي كان يساور المنصور في الوصول إلى حل آخر يرضي رغبته غير الالتجاء إلى القوة[41].

واهتم شخصيا بالإشراف على ماتتطلبه الحملة من استعدادات بالوسائل والمعدات، وإلى جانب ذلك حرص على استمالة علماء السودان والتعاون معهم، خاصة قاضي تمبكتو عمر بن محمود بن عمر الذي بعث اليه في سنة998هـ/ 1590م يعرض عليه الدخول في طاعته، وليكلب منه دعوة السودانيين إلى إمامته، وقد نوه المنصور في هذه المراسلة بمقام القاضي الرفيع في بلاد السودان وأنه أعلم من الأسكيا إسحاق بما يدعوه إليه كما أعلمه في ختام الرسالة بقرب وصول الحملة المسلحة المغربية إلى السودان وأن كل من أمنتموه من عساكرنا فقد أمناه إظهار لمزيتكم واشعارا بمزيتكم لدينا[42].

ثم بعد ذلك وجه الحملة المشهورة بقيادة جودر باشا، وكان الهدف الذي احتوته تعليمات المنصور المدققة هو احتلال جاو وتمبكتو عصبي الحياة في مملكة صنغاي، والقضاء النهائي عليها وضم حدودها للمغرب، وسوف أقوم بالتفصيل في هذه الحملة في العنصر الموالي.

2 - أسباب ودوافع الحملة:

أ - الدوافع السياسية:

يمكن تقسيم الدوافع السياسية لحملة المنصور إلى قسمين: مباشرة وغير مباشرة، فسعي المنصور إلى تأمين حدوده بتحكمه في توجيه الأحداث وفق مصالحه وأهدافه، وتأثيره على التوازن الدولي في الشرق والغرب كما ذكرت في عنصر الوضع الدولي، تندرج ضمن الأسباب السياسية غير مباشرة لإحتلال السودان.غ.، أما السبب السياسي المباشر هو اعتبارات الخلافة والسيادة على أرض المسلمين.

استعمل أحمد المنصور السعدي مسألة الخلافة على المسلمين كحجة أساسية، ذاخل المغرب.أ. ومع من اتصل بهم من قادة الدين والفكر الإسلامي في الشمال الإفريقي والعالم العثماني ولدى ملوك السودان أيضا، لتبرير الحاق إمبراطورية الصنغاي بالمغرب.أ. والتوسع في السودان.غ [43]، وكان يربط ذلك بأمرين: أولا واجبه في الدفاع عن ديار المسلمين يقتضي أن يضع يده على مقدرات المسلمين وخيرات أرضهم لغرض النهوض بمهمة الجهاد باعتباره خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فواجبه أن يجاهد وأن يتبعه المسلمون في ذلك قادة ورعايا، ثانيا مركزه كقائد أوحد يفرض عليه أن يحمل المسلمين على الوحدة باللين أو بحد السيف[44].

فالمنصور السعدي كان يعتبر نفسه الخليفة الوحيد للمسلمين، ويستمد سلطة الخلافة من نسبه الشريف الهاشمي القريشي، وشجعه فتح تيقورارين وتوات على التمادي في فتوحه جنوبا، ولم تكن بلاد افريقيا جنوب الصحراء قد فتحت بعد[45].

ولقد أثير الكثير من الجدل في كل أحقاب التاريخ المغربي حول أحقية تلقيب الأمير أو الملك أو السلطان بلقب أمير المؤمنين، وخليفة الرسول

صلى الله عليه وسلم، وخليفة الله في الأرض، لتوفر أحد الشروط اللازمة للخلافة وهي النسب القريشي، كما كان الشأن بعد سقوط الدولة الإدريسية[46].

وكان إيمان المنصور راسخا بأن الله بعثه ليخلفه على العالمين كلما خطت بلاده خطوات ناجحة في مجال ما، وقد استهدفت من اتصالاته العديدة بعلماء ووجهاء المشرق أن يحملهم على نبد الحكم العثماني والقيام عليه فكان يتودد إليهم بالهدايا ويظهر الإهتمام بكتبهم، ويطلب الإجازات منهم وكان يرسل الدعاة المغاربة إلى المشرق وكان من بينهم سفراء وحجاج وطلاب ورحالة[47]، ووصف الفشتالي مهمة أحد مبعوثيه وهو أحمد بن القاضي بقوله:»...وكانت له نية بالغة في نشر مآثر مولانا الإمام أمير المؤمنين أيده الله في الأفاق فجمع من مفاخر الدولة وأمداحها وفتوحها ومآثرها ما أملى بثه في الأقطار ونشره في المشارق...»[48].

وهكذا فإن أحمد المنصور اعتبر قضية الخلافة غطاء مناسبا لتحركه السوداني، ونبه الأسكيا و كل المتصلين به، والمتنفدين في البلاد، أن الله وحده الذي يفرض على الأسكيا أن يبدي السمع والطاعة وينخرط بواسطة البيعة في سلك الجماعة، ولم يجتهد المنصور في شيئ قدر اجتهاده في ربط خلافته عن صاحب الشرع في حراسة الدين بسياسة بلاد المسلمين انطلاقا من واجباته كحارس عليها، فواجب الخليفة أن يبين للزائغ والمبتدع والخارج عن الجماعة طريق الصواب، وأن يقيم الحدود لتصان محارم الله تعالى وتحفظ حقوق عباده وأن يقوم بتحصين ثغور بلاد المسلمين، وأن يجاهد ويقدر ما يستحق لبيت المال، وما يعود إلى الخليفة النظر فيه كالمعادن وخيرات الأرض والبحر[49]، وأن يقوم بالإشراف على السلطة الدينية والدنياوية بنفسه[50]، وهذا ماكان المنصور يستعمله كحجة للوصول لأهدافه.

ب - الدوافع الإقتصادية:

كانت موارد المغرب.أ. أدنى من أن تتسع لسد حاجيات الدولة من نفقات عسكرية ومنشآت عمرانية واجتماعية، وكان معروفا عن بلاد السودان.غ. أنها تتوفر على معادن الملح والذهب[51]، الأمر الذي لفت السلاطين المغاربة لها وطمعوا في استغلالها، ولا شك أن المنصور بعد عودة الوحدة والقوة لمملكته، كان يطيل التفكير في موضوع ممالح تغازة من جهة، ومن جهة أخرى كل خيرات بلاد السودان.غ. ويستعين بفتحها على توفير المقاتلين والدواب لعمليته الكبرى، لكن حافز الحصول على العبيد لا يمكن أن يعد سببا رئيسيا في ذلك، ولم يولي أحمد المنصور قضية العبيد اهتمام كبير، وفضل دائما اختيار العناصر التي تعمل عنده في فرق الجيش والمصانع والأشغال العامة من بين من تتوفر فيهم الخبرة والذكاء والحيوية[52].

ويورد السعدي في هذا الصدد، عن مجيء أول البعثات السودانية من العبيد إلى المغرب.أ.، والمتثلة في هدية الأسكيا الحاج محمد إلى المولى أحمد، التي تضمنت العديد من الهدايا أبرزها عدد من الخدام وثمانون خصيا[53].

وكان هدف المنصور إلى جانب الاستيلاء على مناجم الملح، الحصول على الذهب، لتلبية متطلبات التوسع الإقتصادي وتدعيم سياسته الخارجية، لدى كان لابد عليه أن يملأ قبضته بالذهب لكي يخاطب أعدائه وأصدقـائه معا وهو قوي ماليا ومحاط بجيش مستعد لتنفيد أي مهمة[54].

ج - الدوافع العسكرية:

لم تكن بلاد السودان.غ. تتوفر على قوة عسكرية حديثة التنظيم والتسليح، فكان جيشها لايملك مدافع ولا بنادق، وعلى العكس من ذلك الجيش المغربي – الذي كان بالرغم من قلة أفراده– مجهزا على أحدث طراز من العتاد الحربي

بالنسبة لذلك العصر[55]، وقد وصف الفشتالي جيش المنصور بـأنه: «...عساكر قادفة بشواط التار وحصباء البندق المنهل بسحائب من البارود مركوم تزجيه الرعود القاصفة والصواعق الراجفة تتبعها الرادفة...»[56].

خلافا على ماكان عليه الحال بالنسبة للدول المغربية السابقة التي لم تخرج حسب قول الفشتالي من:»...عساكر الخيل والفرسان الرامحة وعصائب الرمات الناشبة...»[57] ، ورأى المنصور أنه متفوق عسكريا وبإمكـان مجموعة من جيشـه أن تحقق الكثير من الفتوحات والإنتصـارات في بلاد السـودان.غ. نظرا للفرق العظيم بين قوى المتحاربين[58].

وكان الجهاد إحدى الظواهر التي اختلطت فيها السياسة بالدين والوطنية، خلال العهد السعدي كله وقد قامت الدولة على ماقدمه هذا العنصر المهم من احترام شعبي والتفاف متعاظم حول الشرفاء المجاهدين أمام أسوار الثغور المحتلة[59]، فاستغل المنصور ماكانت تلقاه كلمة الجهاد من قبول وإقبال، في كسب التأييد لأكثر تحركاته الخارجية السياسية منها والعسكرية، وخاصة منها ما أخد وجهة السودان.غ [60].

لكن إذا وضعنا عامل الجهاد من بين الأهداف الأساسية التي كان المنصور يسطر بها سياسته التوسعية نذخل في تناقض كبير، حيث أن المناطق المراد إحتلالها المتمثلة في مملكة صنغاي الإسلامية الواقعة ضمنيا في السودان.غ. كانت مناطق اسلامية تحكم وفق الشريعة الإسلامية، والإسلام منتشر فيها مند القدم، هذا من جهة ومن جهة أخرى حسب قول محمد الغربي أنه: لو كان أحمد المنصور يضع عامل الجهاد في المقام الأول، لبعث مع الحملة أشخاصا مؤهلين للقيام بالدعو الإسلامية، والأكثر من ذلك فإن الحملة لم تتوفر على أئمة ووعاض للجيش نفسه من بين آلاف الخبراء الذين رافقوها[61].

ويقول أيضا حركات في هذا الصدد أننا لازلنا نجهل لحد الساعة مدى الدور الذي يمكن أن يكون هذا الجيش قد قام به في نشر الإسلام بين القبائل التي تعتبر وثنية هناك[62]، ومنه فإن هدف الجهاد ونشر الإسلام في السودان.غ. من طرف المنصور، يعتبر هدف غير منطقي وهذا ما سوف يؤكده العنصر الموالي.

وكان المنصور كذلك يهدف إلى التخلص من فرق الجيش الأندلسي من الموريسكيين، الذين كانوا مصدر قلق له طيلة حكمه، حيث لم ينقطع أملهم في احياء دولتهم بالأرض الإفريقية[63]، ويمكن القول بشكل عام أن الجهد العسكري انصرف نحو هدف إستراتيجي ووطني هو فك الطوق عن المغرب.أ. بالشمال ومنع العثمانيين من الوصول إلى الغرب الإفريقي والأوسط، وشل حركة المستعمرين البرتغاليين القائمتين في أركان وغامبيا، ومنع القوات المتواجدة فيهما من الوصول إلى مصادر الذهب والملح[64]. إذن هذه هي الأسباب الرئيسية التي شجعت المنصور على احتلال السودان.غ.، بعدما فشل في محاولة إخضاع المنطقة سلميا.

3 - وقائـع الحمـلة:

أ - موافقة مجلس الملأ:

بعد تهيأ الظروف المناسبة لإحتلال السودان .غ.، جمع أحمد المنصور العلماء والمستشـارين الذيـن يركن إلى وجهات نظرهم، واستشارهم في توجيه حملة إلى السودان[65]، وقام بعقد مجلسا للشورى[66] الذي قال لهم المنصور فيه حسب إرنست مورسي: «أود القيام بالتذخل ضد ملك السودان لوضع هذه المنطقة تحت امرأته لأنها منطقة غنية وتستطيع توفير كل مايلزم الجيش وتدعيمه، ويسمح زيادة المجد للتيار الإسلامي لأن هذا الحكم لا ينتمي إلى قبيلة قريش وبالتالي لا يستطيع حكم المنطقة على حساب الأشراف السعديين»[67].

وأثناء المداولة أبدى بعض المستشارين شكوكهم في امكانية تحقيق غزو السودان.غ.[68]، خاصة من قادة الجند والعلماء، فالأولون لم ينسو ماحل بالحملة السابقة التي ابتلعتها رمال الصحراء عام 1584 والآخرون عارضوا باستمرار التغرير بأبناء المسلمين في المفاوز والإقدام على محاربة الدين[69]، ووجهوا بعض الملاحظات:

بعد أرض السودان وصعوبة اختراق الصحراء ومن الأحسن اتباع ما كان يقوم به المغاربة القدماء من عدم المجازفة بالمحاولات غير المدروسة[70].

عدم تفكير أية دولة من الدول المغربية السابقة بغزو السودان على الرغم من أن بعضها اتصف مثل دولة الملثمين ومناهضيهم الموحدين ودولة بني عبد الحق من بن مرين حسب الفشتالي بـ: «...العساكر الجرارة والمناقب الضخمة [...] ووفور الأجناد وامتداد ظل السلطان...»[71]، وقام المنصور أيضا باستجازة اثنين من أكبر علماء العصر اللذان كانا في مصر، هما الإمام أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري، وأبو عبد الله محمد بن يحي الشهير ببدر الدين الفرقافي وقد أجازا له القيام بتلك الحملة[72].

وما يتبادر للذهن بعد هذه المعارضة التي أبداها بعض المستشارين، أنه لم يستشرهم من قبل أثناء حملة توات وتيقورارين، والحملة التي وجهها للسنغال، أي أنه قام باستشارهم للمرة الأولى في مخططاته التوسعية.

وقد رد المنصورين على المعارضين على مشروعه بأن سداجتهم هي التي تدفعه إلى خوض تلك المغامرة مبررا قوله بأن كل يوم يقوم الكثير من السكان المحليين العبور إلى تلك المناطق التي في نظركم صعبة الإختراق سواء وحدهم أو مع القوافل، وأخبرهم بأن يكونوا مقتنعين تماما بأنه يستطيع بلوغ مالم يستطع القدماء الوصول إليه[73]، وبعد تبادل الرأي استطاع المنصور أن يقنع الحاضرين بوجهة نظره، ولم يجد المستشارين في النهاية بدا من موافقة المنصور على ما

صمم العزم عليه، مستندا إلى تفوقه العسكري وتوفر بلاده على أقاليم صحراوية كتوات وتيقورارين وبلاد الطوارق الساحلية، التي تعتبر منافذ للوصول إلى موارد السودان مقتديا بذلك بالتجار[74]، ويقول الفشتالي في هذا الصدد»..ثم هؤلاء التجار الخائضون لغمارها المختلفون إليها يعبرونها بأوقات البضائع الثقيلة وأحمال المتاع الجمة بين صدر وورد...»[75].

ب - إعداد الحملـة:

أخذ المنصور في الإستعداد لإحتلال السودان.غ. واهتم شخصيا بالاشراف على ما تتطلبه الحملة بالوسائل والمعدات، من خيل وبغال وإبل وبارود ومدافع ومهاريس وبنادق وخشب للمراكب ومقاديف وحديد وقنابل وبراميل للماء وغيرها[76]، وقد كان صارم العزيمة انتضى للإحتفال حسب قول الفشتالي: «... وشمر للجلوس له بنفسه فأطرح الهوادة في الإستعـداد والأهبة الفخمة...»[77]، فقام برفع أحد قواده العظام من رتبة قائد إلى رتبة باشا (مدني وعسكري) وهو»جودر باشا»[78]، حيث كان من أكثر الضباط السامين كفاءة وصرامة واخلاص وقد أسند إليه قيادة الحملة[79]، مع عدد من القادة الذين ذكرهم السعدي بقوله:»...ومعه نحو عشرة من القياد القائد مصطفى التركي والقائد المصطفى ابن عسكر والقائد أحمد الحروسي الأندلسي والقائد أحمد ابن الحداد العمري قائد المخازنية والقائد أحمد بن عطية والقائد عمار الفتى العلجي والقائد أحمد بن يوسف العلجي والقائد علي بن مصطفى العلجي [...] والقائد بوسيبة العمري والقائد بوغيت العمري والكاهيان الكاهية با حسن فرير العلجي على اليمين والكاهية قاسم وردوي الأندلسي على الشمال...»[80].

وقد استغرق أحمد المنصور في اعداد هاته الحملة ما يقارب ثلاث سنوات[81]، حيث جمع فيها كل مايلزمه فقد أمر بجمع الإبل التي هي ملاك

السفر البعيد ومركز مدراره، ووجهت الأوامر إلى جميع ولاته في الأقاليم «... وعهد إليهم أيده الله في اعتيام كل فدنية أرحبية من البزول الشديدة الأسر والقوى التي أفعم النخض اهابها واتمك سنانها مضطلعة بشق المفاوز البيد وقطع عرض الفلاة المديدة مستقلة بنقل الأحمال...»[82]، وقد وصل تعداد الجمال التي كانت تصحب الجيش حوالي 8000 جمل بالإضافة إلى 1000من الخيل والبغال[83]، استخدم جلها لحمل المدافع والعجلات والبارود والرصاص والكور والأخشاب واللوح والحديد للغلائظ، والسفن والفلك والمجاديف والقلوع والبراميل، والروايا لحمل الماء[84].

ثم عهد بعد ذلك حسب الفشتالي بـ: «...اتخاد ما تستتبعه ألالات بين رحال محكمة العمل وأوعية وعياب حصيفة وجـدل مغارة الفتل وانتقى كل ذلك من علية جنسه...»[85]، وقـام بجمـع الأيـدي العامـلة لنـحت الأقتاب من صناع النجارة[86]، وجمع كذلك الذخيرة من السلاح الشاك المظاهر وجهز من خزائن البارود المتراكمة القناطر منها وخزائن الرصاص المعدة لحصى القدف وبنادق الرمي، وجمع الأنقاض الثقيلة لإرسال الصواعق[87]، بالإضافة إلى الحدادون والبناء ومختلف الصناع والأطباء، الذين بلغ عددهم بالآلاف[88].

وهناك إختلاف بين المؤرخين حول العدد الإجمالي للجنود الذين كانوا ضمن حملة المنصور على الصنغاي وربما يفيدنا صمت الفشتالي الذي يعتبر من كشاهد عيان في ذلك الوقت، والأقرب إلى كل المؤرخين من السلطان السعدي، عن المنصور لم يكن يريد التصريح بالعدد الإجمالي للحملة، والمؤكد أن الرقم الإجمالي لكل من وجههم المنصور إلى السودان في مدة حكمه، ضمن الحملة أو كإمداد لها بعد حكم تلك البلاد يصل إلى 23000 جندي، أي الرقم الذي قال أحمد بابا إنه رآه في كناش ديوان العسكر بمراكش، وأن السلطان زيدان بن أحمد المنصور أكد ذلك له أيضا[89].

وسوف أعرض الأعداد التي وردت في مختلف المصادر: حيث يورد الغربي عن الزياني 20000 ضابط وعسكري من مختلف الأسلحة، و2000 مدفعي من أرباب الصناعة[90]، ويعطي السعدي عددين 300و400 من جنود النار،و6000 أسلحة أخرى[91]، وحسب نقولا زيادة 2000 من حملة البنادق و 500فارس حاملي البنادق، 1500عرب من حملة الرماح[92]، وحسب حركات 5000 من الخيالة بالإضافة إلى 2000 رجل، و 1500 عربي وحوالي 2000 مدفعي[93]، ويحصيهم الغربي 500خيال من البنادق، و 1500 صحراوي من عرب المعقل، و1500 من جنود الريف بشمال المغرب من حملة البنادق و 5000 من الرديف والأسناد والصناع، و2000 من المرتزقة حاملي النفاطات اليدوية[94].

وبلغ عدد المحاربين المشاة وهم من المرتدين الأندلسيين المهاجرين من مملكة غرناطة 2000 والفرسان 5000، وحصيلة العتاد الذي حملته الجيوش بالإضافة لما ذكرناه هي: 600 من النقاب، و 1000 قائد للجمال و180 من الخيام، و300 قنطار من البارود، و 10 قناطر من البارود المسحوق و300قنطار من الرصاص بالإضافة إلى الخودات الحديدية والفلادية والكتان والقطران كذلك الصمغ وحبال من الكتان ومحاريث، ومدفعية تتضمن 6 منجانيقات، وعدد كبير من المدافع الصغيرة التي تغطي إثنان منها حمل كل جمل[95]، ومنه فإن إجمالي العدد الذي تتكون منه الحمل محصور بين 3 آلاف و22ألف، وقد كان المنصور بالإضافة إلى إشرافه شخصيا على الإستعداد والتدريب، كان يجتهد في تهيئة الظروف والوسائل المناسبة لإنجاح حملته.

ج - سير الحملة :

بعد الانتهاء من الإستعداد للحملة أقيم احتفال يوم الإثنين 16 ذو الحجة 998هـ/ 25 أكتوبر 1590م بحضور السلطان أحمد المنصور و الجمهور العظيم[96]، وقد وصفه الفشتالي أنه:»...حفل بروز وأفخموا وانتظموا في أوعب

ترتيب وابدعه ممتدين سماطين من سدة الخلافة الكريمة وانجفلت الدهماء لمشاهدتهم وغصت بهم فوهاء الشوارع واسترسلوا في مذاهب الإعجاب لكثرة ما كان الناس يتحدثون بغرابة أمور هذه الحركة...»[97]، وقد تعمد المنصور ألا يقتصر الإحتفال على وداع عادي يدوم يوما أو بعض اليوم بل أطال المدة ليحقق أحد أهدافه المتصلة بالعمل النفسي، حيث استمرت الإحتفالات أسبوعين كاملين جمع فيها الأثقال في وادي تنسيفت، حتى الفاتح من محرم999هـ/ 10 نوفمبر 1590م[98].

فخرجت هذه القوة العسكرية تحت قيادة القائد جودر باشا من تانسيفت[99]، وسلك طريق على ثنية الكلاوي، حيث لم يمر على واحة توات[100]، لأنه ورد خبر عن قيام ثورة عارمة عرفتها تيقورارين بالذات، بين عرب اليمن والجيش السعدي[101]، فقاد جودر قواته باتجاه الجنوب مارا بالأطلس، وقطع وادي درعة وأقام معسكره في بلدة لكتاوة حيث يمتلك المنصور فيها دارا لضرب المسكوكات الذهبية التي يأتي بها من السودان[102]، وتزود بها بالمياه، والقموح، والشعير، ودقيق التمر، ثم مر على تيندوف[103]، بعد أن ودعهم حاجب المنصور أبو محمد عزوز ابن سعيد بن منصور الوزكيتي، بعد تثقيف أحوال العساكر ومراقبة أمورهم عند منتهى المدينة واستقبلوا بذلك الصحراء، في 24صفر998هـ/ 1590م[104]، فعبروا تندوف وتغازة وتاودني[105].

وهكذا فبعد أن افتقدت الحملة المراعي والمياه فيما بين تغازة وتاودني وصلت إلى النقطة التي كان الجزء المخيف من الصحراء قد قطع، وكان على جودر أن يستقبل أراضي تتيح لحملته فرصا أفضل مما سبق، وبعد نهوض جودر باشا من تاودني بدأ يشق أطول جزئ من الرحلة وليس أخطرها وهو الفاصل بين هذه القرية وبين أروان والبالغ 450كلم، وبعد إجتياز الخانق الطبيعي عند جنوب حمادة الخنيشيس والمعروفة باسم «فم العلبة» إتجهت الحملة نحو الجنوب

الشرقي قاطعة بذلك مسافة 160كلم، قبل أن تسامت مدينة أروان الواقعة على بعد نحو 80كلم غربا[106].

وسارت الحملة بعد ذلك حسب الفشتالي: «إلى ممالك الأمم الملثمة بأقطار السودان»[107]، وكانت الغابات تتكاثف كلما اقتربت الحملة من تمبكتو، فعندما وصل جودر إلى مكان قريب من عين الطاحون الواقعة على بعد 50كلم شمال شرق تمبكتو واجه أول مظاهر مملكة صنغاي في تلك الجهات[108]، وفي المقابل جهز الأسكيا داود جيشا بعد سماعه باقتراب الجيش السعدي، قوامه 14000 مقاتل بكامل العتاد العسكري، مرفوق بسحرة وعرافين[109].

ثم اتجهت الحملة نحو الجنوب الغربي، وقطعوا تلك المفاوز والثغور القبلية، إلى أن وصلو نهر النيجر في 60 مرحلة[110]، ثم سارت مع النهر إلى أن وصلت ميناء كبار البعيد عن تمبكتو بـ 8كلم ونصبت الخيام هناك في جمادى الثاني 999هـ/ مارس 1591[111]، بعد أن إستغرقت رحلتهم أزيد من أربعة أشهر ونصف[112].

وقد أقام جودر باشا حفلا كبيرا بمناسبة وصولهم، حيث جاء في قول السعدي:»...حتى وصلوا البحر عند قرية كربر(كرابار) فنزلوا هناك وعمل الباشا جودر سفرة كبيرة لاطعام الطعام فرحا لوصولهم البحر سالمين...»[113]، وحينما كان على مسيرة أربعة أيام تقريبا من جاو، علم أن الأسكيا اسحاق كان يعمل على سد الطريق ويستعد للمنازلة بعدما سمع باقتراب الحملة، فقام بدعوة الأسكيا إلى الإستسلام حقنا للدماء[114]، لكن محمد الغربي يشكك في ذلك لأن الرسالة حسب قوله وصلت إلى جاو قبل ذلك الوقت وكانت السبب في جمع رجالات الصنغاي للمشاورة[115]، أما السعدي فيقول: أن الأسكيا إسحاق جمع قياده وكبراء مملكته في المشاورة في الرأي، بعدما بلغه خبر الحملة لا بعدما بعث له جودر برسالة[116].

كذلك قام جودر بالإجتماع بأحد عيون المنصور علي بن عيسى الذي كان من الموظفين عند الأسكيا ومن الذين دسهم هناك، حيث كان يزوده بأهم تحركات الأسكيا، وراسل أيضا شقيق المنصور محمد ابن القاسم، الذي كان يقيم بالقرب من جاو، داعيا أياه بالإلتحاق بالحملة المغربية، لأنه كان يمتلك ست مجموعات من العبيد يزيد عدد أفرادها على 1250عبدا تنتظمها 202 بيتا، وقد كانوا يشكلون طاقة اقتصادية وعسكرية حقيقية، بالإضافة إلى معرفتهم بتسيير السفن[117].

وفي المقابل عقد الأسكيا مجلس للشورى، جمع فيه دوي الرأي في مملكته، للمشاورة حول قضية الحملة وطرق مواجهتها، وعرض مطالب المنصور حول ذلك، لكنهم عارضوه خوفا منهم من زوال ملكهم[118] ووصفوه بالمغرور، وأنه» أرهف من سطوة الجنود المنصورية وأنه لا يد له بمقاومة قتالهم بالنار»[119]، هذا من جهة ومن جهة أخرى وجود عدد من المستشارين كانوا لسبب أو لآخر متعاطفين مع المغاربة ومنهم أحد علماء تمبكتو الخطيب محمد زغيت[120]، غير أن عناد الأسكيا اسحاق وجهله وثقته ببعض المشعودين ممن يدعون السحر، جعله يطمئن من الخوف من أسلحة النار، وتخلى عن بعض مقربيه مثل علي بن عيسى[121].

واعتبر طلب جودر علامة ضعف، وبذلك زاد الصنغاي ثقة بأنفسهم، وفي اليوم التالي حدد موقع جيشهم في تنديبي على بعد خمسة وثلاثين ميلا تقريبا من جـاو وقرر أن يشتبك معهم في اليوم التالي[122] وقبل أن تبدأ المعركة أراد السودانيين أن يثبتوا الفوضى والإنشقاق في صفوف مهاجميهم المغاربة فجمعوا أمامهم قطيعا من الأبقار والثيران ليحتموا بها، وهي عملية نقلوها عن القرطاجيين[123].

1 - الفتح الأول :

في يوم الثلاثاء 16 جمادى 999هـ/ 13 مارس 1591م، إلتقى الجيشان في المكان المسمى تنكندبع بالقرب من تنديبي، وقد كان عدد أفراد جيش الأسكيا إسحاق حسب السعدي 12500 فارسا و30000 من أرباب الرجل[124]، أما حسب كعت فإن الأسكيا لقيهم بـ:18000فارس مقاتل و9700 راجلا، مسلحين بالرماح والسيوف والسهام[125]، وقد بكر الجيش المغربي في أخد الأهبة حيث قام جودر بتعبئته وتنظيمه، ليفت بذلك في عضدهم، وبعد انتظام التعبية وترتيب المصاف عاجل العساكر الأمامية بالقتال[126].

وما ان إلتحم الجانبان حتى ظهرت قوة كلا الطرفين ومقوماتها، وليس العدد فعدة المغاربة البنادق والمدافع وعدة صنغاي السيوف والرماح ، فلما بدأ المغاربة بإطلاق وقدف النار، فزعت أبقار الأسكيا من أصوات الرصاص، وأخدت في الإندفاع للخلف وصدمت أصحابها التي تركت فيهم حالة من التشتت[127]، ولم تدم المعركة أكثر من يوم واحد، انتهت بهزيمة أهل صنغاي وانتصار المغاربة بفضل الأسلحة الحديثة وحسن التنظيم[128]، وقضوا عليهم بالرغم من أنهم كانوا مسلمين، واخبروهم بذلك لكن هذا لم يشفع لهم بطش المغاربة[129]. وأحس جيش الأسكيا بفراره فحاولوا أن يشقوا طريقهم خارج الغابة مستقلين أكداس القتلى والجرحى، وبرز أميران زنجيان محمد كاغ بن الأسكيا داود، وعمر بن الأسكيا اسحاق، اللذان حاولا بشجاعة نادرة حماية الفاريين وإمساك بقية الجيش عن أتباعهم، أما الضباط الكبار والصغار ومجموعهم تسعة وتسعون وقد إقتربوا بعضهم البعض[130] وافترشوا الأرض واضعين تروسهم فوق رؤوسهم لأنهم لا يفرون من المعارك، فاقترب منهم جودر مع شردمة من جنوده[131]، وأطلقوا عليهم النار فخروا صرعى وقام بعد ذلك بتجريدهم من أساورهم الذهبية والإستلاء عليها[132].

لقد خلفت تلك المعركة التي دامت بضع ساعات من الضحى إلى قرب العصر، عدد لا يحصى من رجال القبائل السوداء، وبعض السلاطين والأمراء والوزراء من بينهم بوبو مريم سلطان مسينا، وسع فارما (وزير الغابات) علي جاويند[133]، وقد أحصى صاحب الفتاش عدد القتلى في المعركة بقوله: «وقتلوا من صنغاى تلك أربعة وثلاثين وطعن أهل صنغاي منهم ثلاثة عشر وسقط منهم خمسة»[134]، فرجع بعدها الأسكيا اسحاق إلى العاصمة «...واجتمع به قومه كأنه لم يمت أحد منهم وذخل في أهل جـاو في تلك الليلة مصيبة وكرب وبلاء ضاق بهم ذرعهم لا مقعد ولا مفر...»[135]، لكن السعدي يقول أنه لم يذخل إلى جـاو، وبعث لأهلها أن يخرجوا منها فورا ويذهبوا لما وراء البحر، وسار إلى منطقة كورما على الضفة الاخرى من النهر فيما كان الناس يبكون ويتزاحمون على المركب للوصول إلى الضفة الأخرى[136].

وكـان دخول جودر باشا إلى جاو يوم 20 رجب 999هـ/ 13 ماي 1591م، بعد شهر من المعركة[137]، وحسب السعدي: «...لم يبق فيها من سكانها إلا الخطيب محمود درامي وهو شيخ كبير يومئد والطلبة ومن لم يقدر على الخروج والهروب من التجار...»[138]، ولقى المغاربة ترحيبا حارا عند ذخولهم المدينة من قبل التجار الأجانب، والطبقة المثقفة التي كان العديد منها من أهل بلد الغزاة، ولكن هذا الترحيب الحار بهم لم يكن سوى مؤاساة ضئيلة ازاء خيبتهم المرة حين وجدوا جـاو تختلف كل الإختلاف عما كانوا يتوقعونه[139]، وقد عبر جودر عن ذلك في رسالة بعثها إلى المنصور هو والقائد أحمد بن الحداد أخبره فيها أن دار شيخ الحمّارة في المغرب.أ.، أفضل من قصر الاسكيا نفسه[140].

لكن لما وصلت البشرى إلى مراكش أقيمت الأفراح ، وكتب المنصور إلى الجهات المختلفة يزف إليها الخبر العظيم، ومن ذلك الرسالة التي أرسلها من

مراكش يوم الجمعة 7 شعبان 999هـ/ 31ماي1591م، وقد تضمنت أخبار مفصلة عن الحملة التي حققت النصر[141].

بعد ذلك انسحب الجيش المغربي من جاو في بداية أفريل 999هـ/ 1591م متجها إلى تمبكتو ولم يذخل جودر المدينة حين وصوله إليها، حيث أقام مخيما في الجنوب منها وبقي 35يوما للأستراحة[142]، أما كعت فيقول: أن الجيش المغربي أقام مخيمه لمدة 30 يوما كاملة[143].

وأصبح الأسكيا اسحاق بعدما فقد عاصمته مشتت تماما، فقام بفتح باب المفاوضات مع جودر حيث عرض عليه أن يقسم يمين الولاء للشريف، وأن يتخلى للمغاربة عن الحق في استيراد الملح والأصداف النقدية إلى السودان[144]، وأن يبعت له 100ألف قطعة ذهبية و1000من العبيد، مقابل سحب القوات المغربية من المنطقة ويرجع الجيش إلى مراكش[145].

وحسب الفشتالي فإنه: «...انبرم هذا على شرط القبول من مولانا الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله وإمضائه لعقدته وان المصير لرأيه الكريم في رد وقبول...»[146]، ويبدوا أن الظروف قد أجبرت جودر ومن معه على قبول الهدنة، والموافقة على الشروط التي أبرمت بين الطرفين، وذلك للتعب الذي حل بالقوات المغربية من طول المسافة، ومتاعب رجاله في الصحراء، كذلك فقر البلاد التي فتحوها بتلك التكلفة، ولم تغفل أية حجة يمكن أن تحمل الشريف على قبول العروض التي قدمها إسحاق[147].

وبالتالي صعق المنصور لهذا الصلح، وبادر إلى عزل القائد جودر باشا وعوضه بقائد آخر هو محمود باشا بن زرقـون، ووجه رسالة عاجلة أمر فيها بقتل القائد أحمد بن الحداد الذي كان يفاوض الأسكيا، وأعلن أنه يرفض بدون مناقشة أية مهادنة معه[148].

وقد ترك المنصور جودر على ادارة شؤون البلاد المفتوحة من السودان.غ.، في حين يرأس القوات المحاربة الباشـــا محمـــود، الذي أرســـله على وجه السرعة إلى تمبكتو التي وصـــلها يوم 26شـــوال 999هـ/ 17أوت1591م، وشرع حالا في تنظيم القوات المسلحة لمتابعة الحرب ضد إسحاق حتى الاستسلام أو القضاء عليه[149].

2 - الفتح الثـاني:

لقد كانت مهمة محمود بن زرقـون (الباشا) عند وصوله إلى تمبكتو، محددة في استلام الجيش من خلفه جودار ومعاودة الفتح للقضاء على الأسكيا وإقامة الإدارة المغربية المدنية والعسكرية على أنقاض مملكته والأخد بمخانق الخارجين عن الطاعة من أعراب وطوارق، وبسط الحماية على الإمارات والسلطنات في الهوسا ومسينا ومعالجة أمور التجارة واستغلال المعادن[150]، فاشتغل بإصلاح القوارب لأن صاحب المرسى «منذ الفع ولد زرك» هرب بجميع القوارب لما بعث الأسكيا إسحاق لأهل تمبكتو بالرحيل وقام بقطع أشجار المدينة وانتزاع أبواب بيوتها لصناعة السفن[151].

ومن تم ترك الباشا محمود حامية صغيرة في تمبكتو وخرج ببقية الجيش متتبعا الضفة اليسرى للنهر بحثا عن الأسكيا إسحاق، هذا الأخير لما رجعت عنه العساكر إلى تمبكتو احتشد سكان السودان المجاورين له وعندما بلغه رجوع العساكر إلى جـاو قصدهم في جيوشهم[152]، ومن تم توجه للمقاتلة فسمع به محمود الذي كان في برن يومئذ فنهض للقائه، واصطدما الجيشان في منطقة تسمى «بنب» أو «بانبا» بين شمالي نهر النيجر وبين جـاو وتمبكتو، واقتتلوا في «نبكة زرزن» يوم الإثنين 25 دي الحجة999هـ/ 13أكثوبر1591م[153].

وانتهت المعركة بانهزام الأسكيا إسحاق الذي هرب كالعادة عابرا للنهر إلى جرمة، وبفضل الزوارق التي تبعت محمود إلى مجرى النهر فقد استطاع أن

يطاردهم إلى كوكيا، وقد لحقت بقوات الأسكيا هزيمة نكراء وتشتت شمله[154]، خاصة بعد تخلي الكثير من الأهالي عنه، وأخوه في نحو من ثلاثمئة من إخوته ووجوه عساكره ورؤساء دولته[155]، فأخوه سليمان كان قائدا لقبيلة الفلانيين في جيشه ثم أخذ يتعاون مع محمود ضذ أخيه بعدما أمر بالإغارة على الفلانين الذين إحتوتهم القواة المغربية[156].

أما الأسكيا اسحاق فقد إلتجأ بعد ذلك إلى تنفني عند كفار كرم، ولم يتبعه من أهل صنغاي أحد ولم يطول الأمر حتى قتلوه هو وإبنه وجميع من لحق به[157]، أو لعل إسحاق إنتحر بشربه للسم خوفا من أن يسلمه هؤلاء إلى محمود باشا بعدما هددهم حسب الفشتالي: «...بالوعيد والإنذار من حلول الفاقـرة بهم إن لم يسلموه فاستبصرو في رأيهم ونظروا في مخلصهم ولم يجدو[...] إلا أن سقوه كاس الحمام وجرعوه غصص الموت...»[158]، ولما كتب محمود باشا إلى المنصور بجميع إنتصاراته وفتوحاته وبالقضاء على الأسكيا إسحاق تقدم الشعراء إلى تهنئته وتبشيره بقرب ذخول العالم العربي الإسلامي تحت طاعته وتحقيق الأمنية الغالية إستعادة الأندلس[159].

ويرى دولافوس أنه بدأ بعد ذلك ما يعرف بالهيمنة المغربية على السودان.غ.، لكن هذا المصطلح لم يعجبه على حد قوله مبررا ذلك بأن السيطرة لم تكن سوى على جزء صغير من الصنغاي القديم الذي يمتد من ضفاف نهر النيجر إلى جاو، وبقيت بعض المناطق مستقلة بحكم الأساكي، وبعد ذلك لم تدم السيطرة سوى 70 سنة، وقد كانت فيها صلاحيات الباشا منعدمة خارج مدينة تمبكتو[160].

وحسب السعدي فإن الجيش رجع إلى عند أسكيا محمد كاغ وبايعوه، وأمر بإطلاق سراح إبني الأسكيا داود فار ونوح[161]، كذلك لما أصاب الجيش المغربي المجاعة طلب الباشا محمود من الأسكيا محمد أن يغيثهم بالطعام، وأن يأتي إليه لأخذ البيعة[162]، وبعد مقتل الأسكيا محمد بايع الصنغاي في

دندي الأمير نوح وأقسموا في يوم بيعته على الموت في سبيل استعادة المجد الضائع للأساكي[163].

ومهما يكن من أمر فإن محمود باشا تمكن بعد العديد من المواجهات مع الأساكي الذين جاؤوا بعد إسحاق، من إقرار سلطة المخزن في جميع الأقاليم الشرقية وكسر شوكة الصنغاي، وقضى على المخاوف التي كانت تندر بهاالممالك الصغيرة مثل كانطا و كاشينا وأكنو الواقعة في الشرق[164]، وعندما وصل إلى تمبكتو بعد تمهيد المنطقة الجنوبية وفتحها، كان قد أمضى في مهامه تلك سنتين كاملتين[165].

4 - الحملة في نظر السودانيين:

أورد صاحب الفتاش عن أحوال صنغاي على أيام الأسكيا إسحاق بقوله: «...ولما فسد أمر صنغاي وشتت الله شملهم وحاق بهم ما كانوا يستهزؤون[...] وكانت بلد كاغ (جاو) في أيام اسحاق في غاية الفسق وإظهار الكبائر والمنكرات وفشو القادورات...»[166]، حيث أنه من خلال النص السابق يتضح وجهة النظر السودانية في ترحيبهم بالحملة من عدمها، ونستنتج أنها جاءت لتصلح أحوال المنطقة أما الدالي فيقول نقلا عن محمد الأرواني صاحب الترجمان، أنه يرى في الحملة بأنها جهاد وإعلاء للكلمة وهذا ما يدل على رضاه التام عنها وأنها جاءت لتصلح واقع متدن، من فساد سياسي واقتصادي واجتماعي حتم على السلطان التذخل لإصلاح ما فسد، أما صاحب مخطوط حديقة البستان، فإنه هو الآخر إعتبر الحملة نقطة تحول كبيرة في المنطقة من سيئ إلى أحسن[167].

أما السعدي فيقول: «...رماهم الله بجيش جودر فاجتثهم من عروقهم...»[168]، وقد أعجب العامة من السكان لما أبر الصلح بين الطرفين حيث يقول الفشتالي عن ذلك: «... فثابت إليهم صحة أبدانهم[...] وأخدوا في الجناح التمهيد

وتسكين الشارد وتأمين الطريد وبسط الهدر وخفض الجناح حتى إطمأنت النفوس المستنة في مجال القلق واستقرت الأفئدة الجائشة بما خامرها من الرهب والذعر الذي ملأ أحشاءهم وازاغ أبصارهم واشكت لرحبة مسامعهم من أجل جدة الدولة وثقل الوطأة وجلال السلطان...»[169].

إلى جانب ترحيب عدد من الأهالي بالحملة، هناك العديد من الحكام رحبوا بها مثل سلطان مسينة وسلطان «سنقرب بوب ول بير»[170]، كما أعلنت العواصم الكبرى بيعة المنصور كتمبكتو، وأيد الفاتحين كذلك عدد من العلماء السودانيين في مقدمتهم قاضي تمبكتو عمر بن محمود بن عمر وخطيب جاو محمود رامي وأيد من الأساكي عدد من إخوة اسحاق المغاربة كما ذكرنا سابقا[171]، وقال الشعراء في الحملة شعرا مدحوا فيه المنصور، ومن بينهم الشاعر والعالم عبد الله بن سيدي مولود فال(957هـ/ 1550م)، من أبناء تمبكتو، الذي إرتجل قصيدة في حق السلطان عدد أبياتها 33 بيتا[172].

لكن حسب الدراسة المسبقة لأحداث الحملة يلاحظ أن القائدان المغربيان جودر ومحمود عاث في أرض صنغاي فسادا[173]، لكنهما تخوفا من فسادهما أن ينجر عليه ثورة شعبية، لجأ إلى تهدئة الأجواء وترتيب صفوفهم باستمالة العلماء والفقهاء كورقة تأثير على أهالي المنطقة[174]، لكنهم كانوا يبدون حقدهم المرير وعدائهم الشديد لمحمود وجيوشه، خاصة بعد واقعة مسجد سنكري ونكبة العلماء في 1002هـ/ 1593م، الذي أقر فيها نواياه السيئة في طلب تجديد البيعة في مسجد سنكري،حيث قام بمحاصرة المجتمعين هناك وسجنهم باستثناء القاضي عمر، وكان معهم أسرة آل أقيت جميعا بما فيها أحمد بابا، وبعث حوالي 70 منهم إلى مراكش وترك بذلك تمبكتو جسد بلا روح[175].

فكانت ثورة تمبكتو في 1003هـ/ 1594م ضد الجيش المغربي أحسن دليل على مشاعر السودانيين اتجاه جودر باشا في المنطقة[176]، وذلك النفور

طال بعض من ضباط محمود، ومن بينهم أحمد بن الحداد أحد الذين رافقوا جودر، حيث قام هذا الضابط بالذهاب سرا إلى مراكش ليخبر السلطان بسلوكات محمود، الأمر الذي أغضب المنصور[177].

وهذه قصيدة نظمها أبو القاسم بن محمد وهو من أبناء السودان .غ.، في جور بعض قادة الحمـلة

وقد أكملها عام 1079هـ/ 1668م:

إلي أحكم شكيت ضعفي وفـاقتي وما قد جرى به القضاء والدرادتي

فيارب إن القــوم صالـوا بكرهــم علينــا ولالنا ســـواك إنمــا نتى

فكم من عسر أبديت باليسر إن تشـاء فما شك في ضـد يـده المقــالتـي

فكم من سجين مثلنا ضاق أمـــره فخلـته من كل هـــم وشـــدتي[178]

وخلاصة القول أن أهل السودان.غ. إعتبروا على لسان عدد من علمائها ومؤرخيهم أن الحملة كانت نتاج حالة من الفوضى والإنحطاط في المنطقة، توحي إلى الرضى عنها، لكن بعضهم إستاء من معاملات بعض القادة مثل جودر ومحمود، رغم إعتبار تصرفاتهم شخصية لم تصدر لهم من مراكش[179].

على كل فإن الحملة المغربية على السودان.غ. أدت إلى نهاية مجد مملكة صنغاي لفترة طويلة وسار المنصور بعيدا في استغلال ثروات السودان وخيراتها، ولم يحقق ربحا معنويا يذكر بعدما لاحظنا تسلط جيوشه بمنتهى القسوى على مسلمين أبرياء غير متكافئين معهم تسلحا وتنظيما، وغيب بذلك سعيه إلى تحقيق الروابط الدينية في المنطقة، وسار بعيدا في استغلال ثروات السودان.غ. وخيراته، وحقق بذلك ما يصبوا إليه من تنمية اقتصاد المغرب.أ.، وإحداث عملة ذهبية ثقيلة صارت لها قيمة دولية، حتى أصبح يعرف بالذهبي رغم أن الذهب كان معروف في المغرب قبل الحملة[180].

وقد صاحب الحملة خسائر كبيرة، كلفت الدولة أعباءا إضافية، بالإضافة بالخسائر في صفوف الجيش والمصاعب والأزمات التي حلت به خلال تقدمه في الصحراء، الأمر الذي إضطر الباشا جودر إلى إقاف أمر الحملة والرجوع بالجيش إلى مراكش، كذلك المقاومة التي قام بها بعض الأساكي في بعض الأحيان التي تركت في المنطقة إستمرارية لمملكة صنغاي في بعض المناطق من السودان.غ.

لكن عدم توفر المنطقة على الثروة الهائلة التي كان المغاربة يتصورونها عن المنطقة، والتي كانت من بين الأهداف الرئيسية للحملة، قد دفع في أواخر الحكم المغربي على المنطقة كما ذكرنا سابقا إلى إهمال شأنها لأن المناجم المستهدفة خارج صنغاي، وان موارد الغزو العسكري لن تصل إلى فوائد تجارة المغرب.أ. معه، وزاد تنافس و تنازع الجنود على الرئاسة في السير بها نحو الإهمال والتجزؤ التدريجي وانقطعت صلاتهم بالعرش المغربي وقلة المغاربة في المنطقة أذهب أيضا التعامل باللغة العربية، وأصبح الحكام يتعاملون باللغة الإسبانية، ولم ينقض ق:12هـ/ 18م حتى اختفى المغاربة واختفت مملكة صنغاي من المنطقة، ودخلت كلها عصر الإنحطاط لتأتي بعدها حركة الجهاد ضد الإستعمار الأوروبي للمنطقة في ق:13هـ/ 19م.

الهوامـــش:

1 – عبد الكريم كريّم: **المغرب في عهد الدولة السعديّة**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، ط3، 1978، ص 147.

2 – محمد مزين: **بلاد المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16–17 الميلاديين**، مقال بمجلة المؤرخ العربي، ع1987،31، ص216.

3 – عبد القادرزبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د ت.، ص 41.

4 – يحيى بوعزيز: **تاريخ افريقية الغربية الإسلامية من مطلع ق:16إلى مطلع ق:20**، دار البصائر، الجزائر، ط خ، 2009، ج1، ص 94.

5 – عبد الرحمن السعدي: **تاريخ السودان**، تح هوداس، المطبعة الأمريكية الشرقية، باريس، 1981، ص 99.

6 – عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1989، ص 44.

7 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 148.

8 – الفشتالي: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تح، عبد الكريم كريم، مطبعة ومكتبة عصرية الرباط، دت، ص 114.

9 – عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة مدبولي، القاهرة 1994م، ج6، ص 210.

10 – طلب وفد من الطوارق من الأسكيا بعد الاضطرابات التي حصلت في المنطقة، أن يأمر بالتنقيب في المنطقة الواقعة جنوب ممالح تغازة وبدأ فعلا في عام 969ه/ 1562م بالتنقيب في محلة تغازة الغزلان. أنظر: زبادية، المرجع السابق، ص 45.

11 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 148.

12 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 120.

13 – محمد مزين: **بلاد المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16–17 الميلاديين**، مقال بمجلة المؤرخ العربي، العدد31، 1987، ص 217.

14 – الغنيمي، المرجع السابق، ص 211.

15 – عبد الكريم كريم، المرجع السابق، ص 148.
16 – زبادية، مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 48.
17 – عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، مطابع فضالة المحمدية، المغرب، 1988، المرجع السابق، ص 240.
18 – السعدي، المصدر السابق، ص111.
19 – زبادية، المرجع السابق، ص 48.
20 – حسين مؤنس: **تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت لبنان مجلد2، ط1، 1992، ص 198.
21 – عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 240.
22 – السعدي، المصدر السابق، ص 111.
23 – التازي، المرجع السابق، ص 240.
24 – يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص ص94–95.
25 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 152.
26 – زبادية، الحضارة العربية، المرجع السابق، ص ص45–46.
27 – التازي، المرجع السابق، ص 240.
28 – يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 95.
29 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 153.
30 – الغنيمي، المرجع السابق، ص 213.
31 – في سنة997ه/ 1589م وصل إلى قصر المنصور رسول من مراكش وهو يحمل رسالة إليه كان كاتب الرسالة ألد كيرنفل uld kirinfil وهو زنجي من السودان كان الحاكم الأسكيا إسحاق الثاني قد نفهاه إلى تغازة ومن هناك هرب إلى مراكش، ولما خاب أمله في العثور على السلطان المنصور الذي كان في فاس، فقد كتب الرسالة مبينا أنه أخو الأسكيا إسحاق الثاني وزاعما أن هذا اغتصب منه العرش وقد التمس من المنصور أن يناصره. أنظر: بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر الهادي أبو لقمة وآخرون، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،1988، ص277.

32 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 154.
33 – زبادية، مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 53.
34 – نفسه، ص 53.
35 – الناصري: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء 1955، ج5، ص 111.
36 – السعدي، المصدر السابق، ص 138.
37 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 155.
38 – الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 112.
39 – السعدي، المصدر السابق، ص ص137–138.
40 – زبادية، الحضارة العربية، المرجع السابق، ص 47.
41 – زبادية، المرجع السابق، ص 47.
42 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 159.
43 – محمد الغربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، إشراف نقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، د ت، ص 106.
44 – نفسه، ص107.
45 – إبراهيم حركات: **السياسة والمجتمع في العصر السعدي**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، 1985، ص 298.
46 – محمد الغربي: **موريطانيا ومشاغل المغرب الإفريقية في القرن السادس هجري**، مكتبة مولاطو، الرباط، 1963، ص 145.
47 – محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي**، المرجع السابق، ص 114.
48 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 230.
49 – محمد الغربي، المرجع السابق، ص ص116–117.
50 – جوستاف جيروم: **حضارة الإسلام**، تر، عبد العزيز جاويد، مكتبة الألف كتاب، دت، ص204.
51 – ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص 298.
52 – محمد الغربي، المرجع السابق، ص 120.123.
53 – السعدي، المصدر السابق، ص 120.

54 – محمد الغربي، المرجع السابق، ص 125.
55 – ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص 298.
56 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 128.
57 – نفسه، ص 127.
58 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 156.
59 – نفسه، ص 156.
60 – نفسه، ص 156.
61 – محمد الغربي، المرجع السابق، ص 131.
62 – إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 307.
63 – محمد الغربي، المرجع السابق، ص ص158–159.
64 – نفسه، ص 147.
65 – إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 302.
66 – أطلق عليه اسم الديوان أو مجلس الملأ، على أن لفظ «الديوان» استعمال فارسي كان يقصد به في العصور الإسلامية الماضية الإدارة أو المصلحة أما أحمد المنصور فقد استمد فكرة الديوان وحتى التسمية نفسها من تقاليد العثمانيين، وكان هذا المجلس يجتمع مرتين في الأسبوع الأربعاء والاثنين ويستعرض مختلف القضايا السياسية والعسكرية وغيرها من قضايا الساعة. أنظر: حركات، نفس المرجع ص373. ويتركب من شخصيات عديدة عالية المستوى من القواد وكبار القضاة والعلماء والموظفين وممثلي القبائل. أنظر: الوفراني : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي مطبعة بردين، أنجي، 1888، ص 148.

ويقول الفشتالي في ذلك:»... ثم عقد أيده الله تعالى مجلسا للشورى والمؤامرة امتثالا لما أمر الله به رسوله عليه السلام ثم كتابه الكريم فجمع الملأ من طبقات الأجناد وذوي الحل والربط واولي البصيرة والحنكة وخبرة الأمور لم يستثن مشار إليه ولا مشاور فصدع لهم أيده الله بذات صدره وفاتحهم بعزيمته وما أجمع عليه من تجهيز العساكر إلى هذه الأقاليم السودانية والأصقاع الجنوبية...». أنظر: الفشتالي المصدر السابق، ص 126. ومن أعضاء هذا الديوان القائد مومن بن

الغازي الغماري، والوزير عبد العزيز الفشتالي والمفتي أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف السجلماسي. الوفراني، المصدر السابق، ص 148. الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 111.

ويرى الغربي أن المجلس لم يكن مؤقتا ولا مجلسا للحاشية بل كان مرجعا حقيقيا للسلطان في ما يتصل بتسيير شؤون الدولة العليا أو بتقرير سلوك معين تجاه موقف أو حالة، وكان يمثل نظرة تقدمية في عالم كان يسوده الظلام والرضى بالاستبداد. أنظر: الغربي موريطانيا ومشاغل المغرب، المرجع السابق، ص125. ويضيف حركات أن أعضاء المجلس كانوا يعينون من طرف السلطان، على عكس مجلس الشورى الأندلسي في جمهورية سلا بالرباط الذي نصبه الأندلسيون بعد ذلك حيث يتم اختيار أعضائه عن طريق الانتخاب. أنظر: حركات، المرجع السابق، ص 373.

67- Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale (berbérie), Ernest Leroux éditeur Paris, tom1, 1888, pp 162 -163 .

68 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 156.

69 – محمد الغربي، **بداية الحكم المغربي**، المرجع السابق، ص 199.

70 - Ernest Mercier, op-cit , p163.

71 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 126.

72 – الغربي، المرجع السابق، ص 200.

73 - Ernest Mercier, op-cit , p163.

74 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 157.

75 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 127.

76 – نفسه، ص 127.

77 – نفسه، ص 128.

78 – هو فتى قصير أزرق العينين يعود أصله إلى les Guewers، وهي قرية صغيرة في غرناطة وقد اختلف المؤرخون في كيفية وجوده في المغرب ولم يكن المنصور ليختار أسوأ من هذا الباشا لهذه المهمة، فقد كان رجلا جافيا قاسيا طماعا، وفد إلى المغرب.أ. من اسبانيا هاربا من النصرانية أسلم وأصبح رئيس جند

المنصور، هذا الأخير لم يقم بإعدامه لما حاول قادة الجيش الإطاحة به، بعدما أعدم أربعة جنرالات أندلسيين واذخره لمشاريعه العسكرية، وقام بتدريبه على تقاليد البلاط والإمامة. أنظر: رزوق محمد: دراسات في تاريخ المغرب، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، ص 22. أنظر أيضا: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 200. الغربي، المرجع السابق، ص ص204-205.

79 - الغربي، المرجع السابق، ص 204.

80 - السعدي، المصدر السابق، ص 138.

81 - شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977، ص 187.

82 - الفشتالي، المصدر السابق، ص ص128-129.

83 - حركات، المرجع السابق، ص ص302-303.

84 - الغربي، المرجع السابق، ص 215.

85 - الفشتالي، المصدر السابق، ص 129.

86 - يعتقد أنه كانت تقوم احدى أكبر الورشات في تاريخ البلاد بالقرب من المكان الذي قامت فيه ميادين التدريب والاختبار في وادي تانسيفت فقد جلبت الأخشاب من جبال الأطلس القريبة لتصنع منها القوارب، وأخد النجارون في بنائها على هيأة تلائم المجرى المائي (نهر النيجر) الذي كان عليها أن تعوم فيه، مع اعتبار الاتساع والانحدار وقلة العمق، وكان تصميم تلك القوارب فريد من نوعه فهي تفك ويعاد تركيبها عند الحاجة أنظر: محمد الغربي، المرجع السابق، ص214.

87 - الفشتالي، المصدر السابق، ص 129.

88 - السعدي، المصدر السابق، ص 138.

89 - الغربي، المرجع السابق، ص 206.

90 - نفسه، ص 207.

91 - السعدي، المصدر السابق، ص ص138.148.

92 - نقولا زيادة: **دراسة في المغرب العربي والسودان الغربي**، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1991، ص380.

93 - حركات، المرجع السابق، ص 303.
94 - الغربي، **موريطانيا ومشاغل المغرب**، المرجع السابق، ص ص152-153.
95 - محمد مزين، المقال السابق، ص 223.
96 - عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص159.
97 - الفشتالي، المصدر السابق، ص 130.
98 - الغربي، **بداية الحكم المغربي**، المرجع السابق، ص 217.
99 - نفسه، ص 223.
100 - Martin A-G-P: Quatre siècles d'histoire Marocaine au Sahara de 1504a 1902 au Maroc de 1894a 1912, Librairies Félix Algan, Paris,1923, p 37.
101 - سلكت الحملة طريقا خاصا نحو السودان عرف فيما بعد بطريق جودر. أنظر: الغربي، المرجع السابق، ص 159.
102 - بوفيل، المرجع السابق، ص 285.
103 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ج1، ص 100.
104 - الفشتالي، المصدر السابق، ص 134.
105 - حركات، المرجع السابق، ص 304.
106 - الغربي، المرجع السابق، ص ص240.243.
107 - الفشتالي، المصدر السابق، ص 136.
108 - الغربي، المرجع السابق، ص ص242-243.
109- Ernest Mercier, op-cit , p164.
110 - الفشتالي، المصدر السابق، ص 136.
111 - الغربي، المرجع السابق، ص 244.
112 - حركات، المرجع السابق، ص 304.
113 - السعدي، المصدر السابق، ص 139.
114 - بوفيل، المرجع السابق، ص 291.
115 - الغربي، المرجع السابق، هامش رقم(03)، ص248.
116 - السعدي، المصدر السابق، ص 139.
117 - الغربي، المرجع السابق، ص ص250-251.

118 – السعدي، المصدر السابق، ص 139.

119 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 137.

120 – الغربي، المرجع السابق، ص 252.

121 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص161.

122 – بوفيل، المرجع السابق، ص291.

123 – محمد مزين، المقال السابق، ص 224.

124 – السعدي، المصدر السابق، ص 240.

125 – كعت، المصدر السابق، ص 147.

126 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 137.

127 - Delafosse Maurice, Les Noirs de l'Afrique, Collection Payot et Cie, Paris, 1922, p 60.

128 – مقلد الغنيمي وآخرون، المرجع السابق، ص 220.

129 - Ernest Mercier, op-cit, p164.

130 – الغربي، المرجع السابق، ص 261.

131 – نفسه، ص 262.

132 – السعدي، المصدر السابق، ص 140.

133 – نفسه، ص 140.

134 – كعت: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تح و تر، هوداس ودولافوس، مطبعة هوداس، باريس، 1964، ص ص146–147.

135 – نفسه، ص 149.

136 – السعدي، المصدر السابق، ص 140.

137 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 162.

138 – السعدي، المصدر السابق، ص 141.

139 – بوفيل، المرجع السابق، ص 292.

140 – السعدي، المصدر السابق، ص 141.

141 – **رسالة المنصور مبشرا بفتح السودان**. أنظر الفشتالي، المصدر السابق، ص 143.

142 – عبد الحميد جنيدي: **مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/ 16م**، مذكرة ماجستير، إشراف خالد صابر الشريف، قسم التاريخ، كلية العلوم إنسانية، جامعة الجزائر،2008، 2009، ص 113.

143 – كعت، المصدر السابق، ص 155.

144 – بوفيل، المرجع السابق، ص 294.

145 - Delafosse, haut-Sénégal, op-cit, p240.

146 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 137.

147 – بوفيل، المرجع السابق، ص 295.

148 – الغربي، المرجع السابق، ص 272.

149 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص 163.

150 – الغربي، المرجع السابق، ص 292.

151 – السعدي، المصدر السابق، ص 145.

152 – محمد مزين، المقال السابق، ص 226.

153 – السعدي، المصدر السابق، ص 146.

154 – بوفيل، المرجع السابق، ص299.

155 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 152.

156 – الغربي، المرجع السابق، ص 297.

157 – السعدي، المصدر السابق، ص 149.

158 – الفشتالي، المصدر السابق، ص154.

159 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص164.

160 - Delafosse Maurice, Les Noirs de l'Afrique, op-cit, p60.

161 – السعدي المرجع السابق، ص 149.

162 – نفسه، ص 150.

163 – الغربي، المرجع السابق، ص 318.

164 – نفسه، ص 325.

165 – السعدي، المصدر السابق، ص168.

166 – كعت، المصدر السابق، ص 152.

167 – الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999، ص ص204–205.

168 – السعدي، المصدر السابق، ص 144.

169 – الفشتالي، المصدر السابق، ص 147.

170 – السعدي، المصدر السابق، ص 162.

171 – عبد الكريم كريّم، المرجع السابق، ص165.

172 – الدالي، المرجع السابق، ص205.

173 – يقول السعدي أنه لما رجع محمود إلى تمبكتو رفع جميع ما فيها من الأموال، والمتاع، والأثاث ونهب أتباعه كل الخيرات، وكشفوا عورات السكان واغتصبوا نسائهم، وسجنهم لمدة ستة أشهر، وقام بإفساد جميع الأموال. أنظر: السعدي، المصدر السابق، ص171.

174 – الدالي، المرجع السابق، ص 207.

175 – كعت، المصدر السابق، ص173–174.

176 – حركات، المرجع السابق، ص 305.

177 – بوفيل، المرجع السابق، ص308.

178 – الدالي، المرجع السابق، ص 209.

179 – نفسه، ص ص214–215.

180 – حركات، المرجع السابق، ص 306.